الوجه الآخر لركب الحج في القرن 12هـ/18م الوجه السياسي و القتالي. د/ رشيد زين العابدين/جامعة محمد الخامس/المغرب.

ملخص:

يسعى هذا البحث من خلال شهادات حية لحجاج مغاربة، إلى إبراز أدوار غير تقليدية قام بها ركب الحج في القرن 12هـ/18م، و تتمثل في أدائه-عن قصد أو بدونه - أدوارا سياسية خدمت السلطة المركزية للبلاد التي انطلق منها، و أدائه أيضا أدوارا قتالية. وقد حاولنا تشخيص الأدوار السياسية بالتدليل في البداية على أن ركب الحج مثل تجمعا بشريا ضخما تعادده بالآلاف احتاج إدارة تسييره. ثم قدمنا أدلة تاريخية بأن أمير هذا الركب- الرسمي- كانت تعينه السلطة المركزية و تصحب معه شخصيات ذات وزن سياسي تحمل معها هدايا ثمينة لجهات محددة. ثم عرضنا لعدد من الوقائع التاريخية التي ظهر فيها أن الركب منذ انطلاقته و حتى وصوله لمكة المكرمة و إلى حين عودته، كان يجسد أبهة الدولة و يؤدي أدوارا شبيهة بأدوار السفارة الرسمية نحو الخارج، مثل ربطه جسور التواصل مع حكومات البلدان الأخرى، أو اختباره الأوضاع السياسية لهذه البلدان. أما بخصوص الدور القتالي لركب الحج، فلم نجد صعوبة كبيرة في التدليل عليه، و ذلك لأن هذا الركب كانت تصحبه كتيبة عسكرية نظامية مسلحة بمئات البنادق للدفاع عن الأرواح و الأموال المنضوية تحته. فقدمنا شواهد تاريخية لعدد من المواجهات الدامية التي خاضها الركب ضد قطاع الطرق و ضد القبائل التي كانت تبتز الركاب و تتخذ من سرقة الحجاج تجارة لها.

Résumé:

Cette recherche, à travers les témoignages des pèlerins marocains, cherche à mettre en évidence des rôles non traditionnels accomplis par la caravane du Hajj au 18ème siècle, qui sont liés -intentionnellement ou non- à atteindre des rôles

politiques en faveur de l'autorité centrale, et atteindre aussi des rôles militaires. Nous avons essayé de diagnostiquer les rôles politiques en démontrant d'abord que la caravane du Hajj était comme un grand rassemblement humain qui a besoin d'une administration. Ensuite, nous avons présenté des preuves que le prince de cette caravane a été nommé par l'autorité centrale et l'accompagner par des personnes qui ont de poids politique qui portent avec eux des cadeaux précieux vers des destinations spécifiques. Ensuite, Nous avons présenté un certain nombre de faits qui montrent que la caravane, depuis le départ et jusqu'au retour, incarne la grandeur de l'État et atteindre des rôles similaires aux rôles de l'ambassade officielle vers l'extérieur, tel que découvrir et transfère des nouvelles sur la situation politique de ces pays. Quant au rôle militaire de la caravane, il est facile à le démontrer, parce que cette caravane était accompagnée d'un bataillon militaire armé avec des centaines de fusils pour défendre la vie et les fonds. Alors nous avons présenté un certain nombre d'affrontements sanglants entre la caravane et les bandits qui avaient l'habitude de voler les pèlerins.

كان ركب الحج (أو الركب المحمدي أو الركب الإلهي¹) في القرن 12هـ/18م، عبارة عن زحف جمع بشري ضخم في شكل مدينة متنقلة تضم الآلاف من الناس من الجنسين معا و من كل الفئات العمرية و من أصحاب مهن وطبقات اجتماعية مختلفة. و مثل - في حالة الركب الرسمي - إدارة محلية تؤدي أدوارا محددة لخدمة السلطة المركزية، كما مثل قوة عسكرية رادعة لأعدائه.

سنة 12هـ/18م، باعتباره تجمعا بشريا كبيرا يسيره أمير تعيينه - في حالة الركب الرسمي - السلطة المركزية وفق شروط محددة، فيؤدي أدوارا سياسية في الداخل و في الخارج، و اعتباره أيضا قوة عسكرية متسلحة بمئات البنادق لحماية الأرواح والأموال المنضوية تحته، بقتال و معاينة قطاع الطرق والقبائل المعتدية عليه.

قبل عرض مضامين هذا البحث، ننبه بداية أنه كان يدخل مكة المكرمة في القرن 12هـ/18م ركاب متعددة قادمة من مختلف أقطار العالم الإسلامي. وقد قدم لنا عبد الرحمان الغنامي المزماني الشاوي بمناسبة أدائه ركن الحج لعام 1729م لائحة بأسماء هذه الركاب، وهي الفاسي والجزائري والمصري والشامي واليميني والاطنبولي والعراقي والكوفي والبصري والهندي والعجمي والكنكي والقرماني والتكروري والقنارجي². أما الركاب التي صادفت حجة الزبادي لعام 1745م، فهي المغربي والجزائري والمصري والشامي والمديني واليميني والعراقي³. وتفرد ابن ناصر الدرعي بذكر ركب التوارك في حجته عام 1121هـ⁴. وتحدث الزباني و هو يؤدي حجه عن ركاب المصري والشامي والعراقي والسندي واليميني⁵. أما الدرعي فحدثنا في رحلته الحجية عن ركاب التونسي والجزائري والشامي⁶.

لا ننوي في هذه الدراسة تناول جميع هذه الركاب ضمن إشكالية البحث، ولكننا سنركز على ركاب محددة، مع تفاوت في مستوى تناولها حسب المبحث المقصود. و هذه الركاب هي المغربي (السجلماسي و الفاسي) والجزائري والتونسي و الطرابلسي والمصري والشامي.

أولا: ركب الحج مجتمع بشري ضخم يحتاج إدارة تسييره.

مثل ركب الحج في القرن 12هـ/18م زحف تجمع بشري ضخم تعداداه بالآلاف، و ذلك استنادا إلى أقوال حاج مغربي و هو محمد بن عبد السلام الناصري عند دخوله مصر عائدا من حجته لعام 1196هـ/1782م، وهي أن زهاء 2000 مغربي بقوا بمصر لم يحجوا لأنهم وصلوا متأخرين⁷. ولا يستغرب من هذا الرقم، فأندري رايوندا أشار إلى أن أعداد ركب الحاج خلال القرن 18م كانت تتراوح ما بين 20000 و 60000 حاجا

في الركب الشامي، وبين 30000 و40000 حاجا في الركب المصري⁸. ثم ما أشار إليه محقق رحلة "إحراز المعلى" أن ركب الحاج عبارة عن زحف بشري كبير من الجمال الحاملة لمئات إن لم تكن آلاف الناس⁹.

و لم يكن الركب يضم فقط عوام الناس، بل ضم أيضا فئة من الأعيان، و بالأخص أفرادا من العائلة الحاكمة في ركاب الحج الرسمية مثل الركب الفاسي المغربي الذي كان يذهب ضمنه الأمراء كما هو الحال مع ركب 1101هـ/1690م الذي ضم الأمير المعتصم بن السلطان المولى إسماعيل وركب عام 1123هـ/1711م الذي سافر فيه أبو مروان بن المولى إسماعيل، وركب عام 1143هـ/1730-1731م الذي ضم والدة السلطان مولاي عبد الله السيدة خناتة بنت بكار المغافري وابنه سيدي محمد الأمير. وأرسل السلطان سيدي محمد بن الله عام 1182هـ/1768م ولديه مولاي علي ومولاي عبد السلام للحج مع هذا الركب. ووجه مرة أخرى هذا الأخير في ركب 1188هـ/1774م¹⁰. وحدثنا الناصري وهو عائد من الحج مع الركب السجلماسي بموضع "سيدي خالد" في ركب 1196هـ/1781م أن الركب الرسمي المغربي الذهاب للحج ضم اليزيد بن السلطان¹¹. ورحل إلى الحج مع ركب الشخص ذاته لسنة 1211هـ/1796م كلا من ابن السلطان مولاي سليمان وأخيه¹². و انطبق واقع إرسال الأمراء كذلك على الركب المشرقي¹³.

ثانيا: أمير ركب الحج قائد تعيينه السلطة المركزية.

أدرجنا إمارة ركب الحج كوظيفة دنيوية مثل صاحبها عنصرا من عناصر السلطة المحلية بعدد من البلدان الإسلامية خلال القرن 18م، لاعتبارات نظرية وعملية. فنظريا ميز لنا الماوردي في الولاية على الحج بين نوعين: الولاية على تسيير الحجيج والولاية على إقامة الحج، ووصف الأولى بأنها ولاية سياسية¹⁴. و عمليا كان تسيير الركب يتم بطاقتهم إداري يعين أميره في الركب الرسمي المغربي من قبل السلطان أو بالاستشارة معه¹⁵. وعين أمير الركب الشامي من قبل السلطة المركزية باستانبول، و عين أمير ركب الباشوية العثمانية من قبل الباشا الحاكم¹⁶.

ففيما يتعلق بمسألة التعيين أخبرتنا الرحلة الحجية المغربية في القرن 18م، أن قائد ركب الحاج المغربي الرسمي كان يعين من قبل السلطة المركزية و وفق شروط و يحمل لقب أمير عند إختياره¹⁷ ويعد من خدام السلطان¹⁸. و استأثرت بإمارة هذا الركب وتوارثتها في هذه الفترة عائلات محددة، كما هو الحال مع عائلة عديل مثل ما أخبرنا بذلك أحمد بن ناصر في حوالي 1709م، إذ كان أمير الركب الفاسي "هو الحاج عزوز عديل"¹⁹. وبعد مضي حوالي 24 سنة على ذلك أكد لنا الإسحاقى أن إمارة الركب لعهد "فما قبله منذ أربع أو خمس وعشرين سنة في دارهم مع إخوانه من والدهم السيد محمد عديل ... والشيخ عبد الخالق أمير الركب هذا العام(1737)"²⁰. وأخبرنا أبو مدين الدرعي في عام 1740 أن شيخ الركب الفاسي القادم من الحج هو ولد عديل²¹. وحتى في ركب الحج غير الرسمي وهو الركب الفلاي، فقد كان لأميته علاقة بنسب الأسرة الحاكمة كما حصل زمن حجة أحمد بن محمد بن ناصر الثالثة أنه "الشريف مولانا عبد الهادي بن دريس"²². وأن أميره في حجة الحضيكي هو "مولاي الشريف"²³. وأميره سنة 1781 هو "مولاي علي بن محمد الحسني العلوي البوعامي"²⁴.

وكان من شروط تولي إمارة الركب توفر الأمير على عدد من المواصفات، منها "الخلق ولين الجانب مع الحجاج والرفق بالضعيف منهم ومواساة من يحتاج إلى المواساة"²⁵.

وكان يحدث أن يدعو سلطان البلاد لجمع قوافل الحج في الشمال والجنوب لتكوين قافلة واحدة تعبر طريق تازة في اتجاه المشرق²⁶.

وحول أمير الركب المشرقي، حدثنا حجاج مغاربة أنه كان يعين هو الآخر من قبل السلطة المركزية باستانبول²⁷، أو من قبل باشوات الإيالات²⁸، وأنه حمل لقب "الوزير"²⁹ أو "الأمير"³⁰ أو "الباي"³¹. وحدثونا أيضا بمناسبة تواجدهم في مصر عند خروج المحمل أن الباشا هو من كان يخلع على أمير الركب المصري الخلعة تعيينا له في هذه المهمة³².

وحدثونا عن أمير الركب الشامي سنة 1782م أن "أميره في الوقت لا يد فوقه، يده عند السلطان"³³. و هذا الأمير عد في باشوية مصر في أواخر القرن 18م ثاني منصب مهم في السلطة بعد منصب حاكم القاهرة "شيخ البلد"³⁴.

ولم يتوحد الرحالة المغاربة في توصيف أمير ركب الحج المشريقي من المنظور الأخلاقي لتقريبنا من مدى صلاحه لهذا المنصب الحساس والخطير. فأمير الركب الشامي حسب قول الهشتوكي في حجته عام 1121هـ/1709م غير جدير بالمهمة بخلاف أمير المصري " فإنه رجل صالح متواضع، يحب أهل الخير من العلماء والصالحين والفقراء"³⁵. وجاء الإسحاقني من بعده ليصفه بالظالم خلال حجته عام 1143هـ/1730-1731م³⁶. لكن الناصري تحدث عنه بإيجاب عام 1196هـ/1782م³⁷.

ومن المعلوم أن هذا المنصب الديني اعتبر في ولاية مصر واحدا من أهم الوظائف³⁸، واستطاع المماليك احتكاره ضمن هيمنتهم على المناصب الهامة في هذه الباشوية³⁹. وقد أشار الناصري في حجته الثانية أن أمير الركب المصري هو من "الغز" أي المماليك⁴⁰. ولدينا إشارة واحدة فقط من الرحلة المغربية تكشف عن الامتيازات التي كانت تمنح لأمير الركب المصري وهي المتعلقة بأخذ الكسوة القديمة للكعبة المشرفة مناوبة مع سلطان مكة⁴¹.

ثالثا: ركب الحج تجسيد لأبهة الدولة و تأكيد لحضورها و سفارة غير رسمية لها نحو الخارج.

نقصد بخدمة السلطة المركزية في هذا البحث، الأدوار السياسية التي أداها ركب الحج الرسمي لسلطة بلاده المركزية. و يمكننا اختصارها كالاتي:

- ركب الحج: تجسيد لأبهة الدولة.

مثل الركب الرسمي المغربي في القرن 18 رمز أبهة الدولة وحضورها. فكان "يوم خروج الركب من فاس يوم موعود مشهور قل من يبقى بالمدينة إلا خرج.. وكذلك يوم قدوم الحاج ودخوله يحتفل له أهل المدينة المذكورة (فاس) احتفالا كبيرا"⁴².

من جهة أخرى كانت ترسل ضمن هذا الركب شخصيات رسمية لمنحه مزيدا من الأهمية وللإعلاء من شأن الحج ولتمثيل حضور سلطة الدولة في المناطق التي يمر بها الركب⁴³. كما كان يعين ضمن هذا الركب أمين الصرة الموجهة للحرم المكي⁴⁴. وفي الجبهة الأخرى من الشرق شكلت مناسبة خروج المحمل⁴⁵ وتعظيمه⁴⁶ واحدة من المناسبات لإظهار قوة الدولة العثمانية⁴⁷ ولإبراز اعتنائها بالشأن الديني. وصوره هو ما نقلته لنا الرحلة المغربية عند تواجد الحجاج المغاربة بمصر قبيل الذهاب إلى الحجاز. وميزت في نقل المشاهد بين الخروج الأول والخروج الكبير للمحمل. فالخروج الأول يكون في النصف الأول من شهر شوال "يوم يؤتى بكسوة الكعبة المشرفة من دار الصناعة فتضرب سحابة على باب القلعة (قلعة الحكم) فيحضر الصناجق كلهم والولادة والأمراء والحكام والقاضي، كل واحد مع أتباعه. ولكل واحد مجلس معلوم في السحابة المضروبة ومجلس الباشا في الوسط وعن يمينه مجلس القاضي، وكلما أتى واحد من الأمراء وأرباب الدولة جلس في مجلسه المعهود له"⁴⁸. أما الخروج الكبير فيطابق يوم 26 من شوال ويعد يوما من "من أيام الزينة ويجتمع له الناس من أطراف البلد... ويجتمع الأمراء والصناجق والجند جميعا على الهيئة المقدمة في الخروج الأول إلا أن هذا أتم احتفالا. فإذا تكامل جمع الأمراء على الوجه المتقدم... يحضر ذلك جميع من في الميدان، كل طائفة لها أمير متقدم عليها من الطباقين والفراشين... فإذا مر جميع ذلك بين يدي الباشا جاءت أرباب الطوائف ... بشيخهم ولوائهم رافعين أصواتهم بالذكر، كالقادرية والرفاعية والبدوية والسوقية، حتى الساعة يأتون بشيخهم ... ثم يمر بالمحمل وسائر الإبل والعسكر وسط المدينة والناس يشرفون من الديار والمساجد... ويتعطل غالب الأسواق في ذلك اليوم"⁴⁹. ويتضمن خروج المحمل كذلك تعين أمين الصرة الذي يخرج في مقدمة الركب و" معه الوزير والأمراء وأهل المناصب كلها وأعيان الناس وعامتهم، بطبول ومزامير وطربشات والخمسة والخمسين والهندقة"⁵⁰.

و يدخل ضمن لوازم المحمل في إطار إظهار أبهة الدولة واهتمامها بالشأن الديني تكفل الركب المصري سنويا بإعداد كسوة الكعبة المشرفة وكسوة مقام إبراهيم عليه السلام. ويتكفل الركب الشامي بكسوة الحجرة النبوية مرة واحدة في ولاية كل سلطان العثماني ويجدها من يعقبه⁵¹. وكان ولاية مصر يخصصون لكسوة الكعبة مبالغ مالية ضخمة حسب ما نقله لنا أحمد بن ناصر الدرعي عن نقيب هذه الكسوة بهذا البلد السيد عبد الرؤوف الذي أخبره سنة 1121هـ/1709م أن تكلفتها هي 220 ألف كيس⁵². وعلى طول الطريق إلى الحجاز يستمر الركب في إظهار هذه الأبهة⁵³ كإيقاد المصابيح والشموع في كل بندر من البنادر التي يمر بها⁵⁴ وإيقادها حتى بالحرم الشريف كما نقل لنا الإسحاقى أخبارا حوله سنة 1731هـ من أن أمير الركب المصري استكثر الشموع به لـ"إضاءة المشاهد المكرمة"⁵⁵، فضلا عن تفاخر كل ركب بما لديه من أموال وعدة عسكرية⁵⁶ أمام القبائل التي كان يمر بها وأمام باقي ركاب الدول والأقاليم الأخرى عند وصوله الحجاز. فبمكة المكرمة كان الركبين المصري والشامي يقومان في الليلة الثانية من ليالي "منى" باحتفال كبير يتمثل في "إيقاد المصابيح واتخاذ المصانع منها وصور الأشجار والأخبية وإكثار الرمي بالبنادق والمدافع والمحارق المرتفعة... وهذا الاحتفال شبيه باحتفالهما كذلك بليلة الوقدة ببدر⁵⁷، وهي ليلة وصفها الزبادي بدوره بأنها تشعل فيها الشموع والمصابيح ويطلق فيها الركبين المدافع والمحارق⁵⁸.

- ركب الحج: بعثة سفارية غير رسمية نحو الخارج.

استغلت مسيرة ركب الحج-الرسمي المغربي- مناسبة لإيصال مساعدات وهبات لجهات وعناصر محددة متواجدة على طريقه في اتجاه المشرق، لأهداف قد تكون إنسانية محضة ولأهداف سياسية كذلك.

ليس بإمكاننا الحكم على مجموع نشاطات أعيان الركب ذات الظاهر الإنساني أنها تدخل فيما هو إنساني محض أو سياسي محض أو نفيه بالمقابل. و عليه سنعرض في فقرة

أولى للجزء من هذه النشاطات الذي نميل للقول أنه ذا طابع سياسي واضح، و نعرض في فقرة أخرى للجزء الذي يحتل التأويل مع ميلنا نحن لطابعه الإنساني.

تبرز المهام السياسية الواضحة التي أداها ركب الحج المغربي عن قصد أو بدون، في نقل الركب أو إيصاله معلومات سياسية عن الآخر أو إليه. ومن أمثله ما نقله الوزير الإسحاقى و هو ضمن ركب 1143هـ/1730م، عندما حل بالبلاد الجريدية واقتراه من موضع "عبد المجيد ومعه الأمير سيدي محمد الأمير، من أن الأمير السيد بوزيد العباسي" تلقى... لولد سيدنا... فاحتفل الناس... وقلنا له- يقول الإسحاقى- السلطان مولاي إسماعيل قدس الله روحه كان يحبكم بني العباس وكاتبكم كم من مرة وكان يحبكم لأجل نسبتكم المباركة إلى سينا العباس بن عبد المطلب... ولأجل أنفتكم من أحكام الترك... وقلنا له سيدنا مولانا السلطان مولانا عبد الله نصره الله لا علم له بأنك بهذه البلاد الجريدية وإلا لكتب لك بتجديد عهد والده معك ففرح... وأهل هذه المناطق يسمونه السلطان وينصرونه"⁵⁹. كما برز الطابع السياسي للركب في إخبار الإسحاقى أن الأعراب كلها تألفت في بلدة بسكرة "ودخلوا تحت طاعة مولانا نصره الله، وألستهم يودون لو وصلتهم عماله"⁶⁰.

هل الركب الرسمي المغربي بهذا المعنى إذن هو موفد غير رسمي للتواصل مع عرب الإيالات العربية التي كانت تعاني تمييز الأتراك و تحن لحكم عربي؟.

يركزي هذا الاحتمال الانطباع الذي كونه محمد ابن عبد السلام الناصري و هو بالقنادسة الجزائرية زمن رحلته الحجية الأولى عند عودته. فهو الذي تحقق له الخبر "أن السلطان أمير المؤمنين سيدي محمد بن اسماعيل بسجلماسة... وقد اهتز هذا الشرق (شرق المغرب و غرب الجزائر) وما يليه من بلاد الظهر لأجله نصره الله"⁶¹.

و ليس بالضرورة أن كل فرح بمقدم الركب المغربي من قبل أهالي الإيالات المغاربية هو نكاية في الحكام الأتراك- و هو أمر حاصل لا يمكن نكرانه-، لكن الترحاب أظهره أيضا حتى حكام أو عمال هذه الإيالات، مما يعني أن الركب كان سفير ود غير رسمي لحكام آخرين.

لقد أرخت لنا الرحلات الحجية لنشوء علاقات ودية بين الحكام المغاربة و عامل بسكرة الجزائرية عبر وساطة ركب الحج. فهذا العامل " خرج... مع أهل البلد لملاقة ولد سيدنا نصره الله- الأمير سيدي محمد بن عبد الله المرافق لركب الحج المغربي- مع جدته.. وأظهروا من الفرح والسرور شيئا كثيرا"⁶². و انطبق شكل هذه العلاقات مع حكام إيالة طرابلس و خصوصا في عهد السلطان مولاي عبد الله، كما أفصح عنه الإسحاقى عند حلول الأمير سيدي محمد بن عبد الله رفقة جدته السيدة خناتة بالإيالة أنه "خرج صاحب البلد وحاكمه أحمد باشا في لمة من أصحابه مع أهل البلد رجالا ونساء... مظهرين الفرح والسرور بولد سيدنا نصره الله وبوفد الحجاج، وأخرج مدافع كبار.. على عادة أهل البحر في التسليم و... احتفل الباشا في ضيافة ولد سيدنا نصره الله مع أمه أعزها الله غاية الاحتفال"⁶³. وبالمقابل " فقد كافأته (خناتة) عليه (باشا طرابلس على حسن ضيافته) وأضعفت له الجزاء على ضيافته أضعافا مضاعفة، فقد أعطته عطاء ملوكيا يستغرب في بلده وغيره"⁶⁴. كما تصدقت السيدة على الفقراء والمساکن بزواوية زروق⁶⁵. والوقائع التي حكها لنا الإسحاقى حول سلوك الباشا أحمد أكدها لنا إخباري لبي معاصر وهو ابن غلبون، حيث ذكر لنا من جهته أنه لما حلت هذه السيدة بالإيالة في شهر شعبان من عام 1143هـ/1730-1731م أكرم حاكم البلاد موكبها عند النزول وأعطها 50 بعيرا عندما همت بالانصراف للحج، وراسل عماله في البلدان بتقديم ما تحتاج إليه، وكرر سلوكه معها لما قدمت من حجتها سنة 1144هـ/1731م⁶⁶. وبعد حوالي 65 سنة على رحلة الإسحاقى نرى استقبالا آخر يخصصه حاكم البلاد الباشا يوسف عندما تعرض لركب الحج المغربي في مدينة الزوارات ب 500 فارس "فاظهروا من الفرح والسرور و اللب والخييل... وما قط أسلافه ففعلوا هذا مع أحد" ترحيبا بالركب الذي يضم ابن السلطان المولى سليمان وأخيه والناصري. وأمر الباشا من في إيالته بضيافة الركب السلطاني كذلك⁶⁷. وضيف أمير تونس الباشا حمودة بن علي باي بدوره الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري في عودته من رحلته الحجية الثانية⁶⁸.

أما جزء نشاطات الركب المغربي التي قلنا أنها تحتمل التأويل بين الإنساني أو السياسي، فمنها ما حصل مع ركب الحج لعام 1143هـ/1730م الذي كان ضمنه سيدة من البيت السلطاني و هي السيدة خناتة بن بكار المغافري. فعند حلولها بمصر تصدقت على الفقراء عند تواجدها بالقاهرة بمناسبة عيد المولد النبوي⁶⁹. و لما حلت بأرض الحجاز ودخلت بلدة ينبع والتقت بشرفائه "فرحت بهم وكستهم كساوي مليحة من الملف والكتان وحزم وأكرمتهم ودفعت لهم (...). مائين مثقال ذهباً مطبوعة، كانت تأتيهم أيام مولانا أمير المؤمنين مولانا اسماعيل رحمه الله، وأعطتهم مائة مثقال ذهب من عندها، خمسين للشرفاء وخمسين للشريفات أولاد غيثة (أو عيشة؟)"⁷⁰. واشترت لما حلت بمكة داراً "بشمن يقرب من ألف مثقال ذهب مطبوعة، وحبستها على من يقرأ الختمة من القرآن في يوم واحد، وهم جماعة من الطلبة عينوا لذلك والتزموا القيام به، وعلى من يدرس صحيح البخاري"⁷¹. كما اهتمت السيدة بعلماء المدينة المنورة ومكة المكرمة، ومنهم الشيخ محمد الطبري إمام المقام الخليلي، وكان كتب لها كتاباً مؤرخاً بعام 1143هـ/1730م لقبها فيه بالملكة خناتة⁷². وفي هذا الإطار نفهم سياق قصائد المدح التي خص بها عدد من العلماء من خارج المغرب السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومنها ما أثبتته لنا محمد بن عبد السلام الناصري الذي رحل حاجاً عام 1211هـ/1796م⁷³. كما أثبت قصيدة للشيخ المرتضي الحسني الحافظ يعزي فيها مولاي سليمان في وفاة والده سيدي محمد بن عبد الله⁷⁴. وحدثنا الرحالة من جديد أن هذا السلطان أرفقه هو الآخر وهو في طريقه إلى الحج بكتاب "يعين فيه كيفية تفرقة صدقة الحرمين"⁷⁵، للشرفاء والعلماء والمؤذنين والفراشين وسدنة الكعبة المشرفة⁷⁶. وكانت معه صدقة أخرى تفرق أيضاً على العلماء وأرباب الطوائف، من الوفايين والبكريين والعمريين وطلبة الأزهر وغيرهم بمصر⁷⁷. وهذا السلوك سبق للسلطان المولى إسماعيل والسلطان المولى عبد الله أن قاما به مع هذه الفئة من المجتمع المصري عبر الركب الرسمي المغربي كما يفهم ذلك من إفادات أحد السائرين ضمنه و هو الإسحافي الذي أخبر أن الإعانات السلطانية أخذت طريقها إلى

"السادات البكريون، فعادتهم الجارية لهم على عهد مولانا إسماعيل قدس الله روحه، فهي عشر سبائك كبيرة من الذهب، مائة مثقال كبيرة في كل سبيكة. وجدد لهم رسمها وحكمها أمير المؤمنين مولانا عبد الله نصره الله. فهي تصلهم كل سنة على يد أمير الحاج السيد عدیل"⁷⁸، وأن بينهم "وبين مولانا مولاي عبد الله نصره الله و بين والده مولانا إسماعيل رحمه الله المحبة والصدقة والعهد الذي لا يتحول"⁷⁹.

سفير إذن أو موفد غير رسمي خارج البلاد، هو ركب الحج المغربي في القرن 18م. ما بشأن الدور السياسي للركب المشرقي؟.

شاهد هذا الدور في الركب المشرقي، أن ركب الحج أعتبر أيضا وسيلة للقيام بعدد من النشاطات السياسية. لقد كان الركب الشامي هو من تكفل بنقل الآلة والخلعة ل"ثائر قرطراو" الذي ضاق حكام استانبول بتمرده فنصبوه "وزيرا" على المناطق الكردية⁸⁰. وأخبرنا الناصري في حجته الأولى أن أمير الركب الشامي قام بعمل إداري محض عام 1781 وهو تعيينه لحاكم مكة⁸¹. و كان هذا الأمير يتقلد منصبا سياسيا آخرا إلى جانب منصبه كأمر الركب وهو منصب حاكم دمشق⁸².

بقي الإشارة إلى مهمة خطيرة كان يقوم الركب المشرقي المصري في القرن 18م وهي جمع المكوس في طريقه. وهذه من الإشارات القوية التي جعلتنا نعتبر ركب الحج سلطة محلية. وشاهد هذه السلطة الجبائية ما حدثنا به الناصري في رحلته الصغرى عن أمير الركب المصري، قاسم باي الغزي، الذي كان يقبض المكس في "بندر العقبة" عند العودة من الحجاج المغاربة وغيرهم. "وقد كان قبض من أهل فاس- سنة 1796م- بالخصوص سبعمائة ريال، وبالمدينة المنورة أحد عشر ريال... ظلما وعدوانا، ومكسا في مدينة الرسول"⁸³. بل سبق أن تحدث الإسحاقى عن هذا السلوك بحق أمير هذا الركب عام 1143هـ/1730-1731م وإن لم يسمه⁸⁴.

- رابعا: ركب الحج قوة عسكرية رادعة.

صحب ركب الحج كتيبة عسكرية وازنة، سواء في المغرب أو في المشرق⁸⁵، لحماية
أرواح آلاف الناس وحماية الأموال التي كانت بالقناطر المقنطرة، كما قال الحضيكي أحد
السائرين مع الركب⁸⁶.

من أولى الإشارات التي وصلتنا من الرحلة في هذا الصدد، إشارة للهشتوكي عام
1121هـ/1709م بعدما تجاوز حجاج الركب المغربي موضع "مقرب" في الذهاب
بالأراضي الليبية أنهم تعرضوا لاعتداء، ف"اجتمع الركب كله بمدافعهم وعدتهم وأطلقوا
البارود والرصاص فخافوا (أولاد علي)"⁸⁷. أما الإسحاق فتحدث عن جيش الركب
المغربي عام 1143هـ/1730-1731م وهو يستعرض قوته بالأراضي الليبية في صورة
احتفالية "فيمن معه من الوصفان عبيد البخاري..ولعبوا بالبارود لعبا قضوا منه ترك
البلد وغيرهم العجب، ويعترفون أن لا قدرة لهم على ذلك اللعب ولا معهم من
الفروسية ما يقاوم ذلك"⁸⁸. وأخبرنا المؤلف في الإطار نفسه أن أمير الركب المصري
لذلك العام، وهو محمد باشا باي، طلب من الركب المغربي أن يسير معه لما يتوفر عليه
من فرسان، وذلك رغبة "في الاستظهار به على شياطين العرب أهل القفر بالحجاز
المتلصصين"⁸⁹. وبعد أكثر من 50 سنة من رحلة الإسحاق تحدث محمد بن عبد
السلام الناصري سنة 1196هـ/1782م أن الركب المغربي استعد لمواجهة الأعراب
في "توزر" بما ينيف عن 500 بندقية⁹⁰. كما تحث عن تخريب أمير الركب السجلماسي
في وقت سابق السيد الحفياني، مدشر "المخيلي" الذي اعتدي فيه على الركب⁹¹. وعاد
الناصرى ليذكرنا في حجته الثانية أي بعد مضي حوالي 15 سنة من رحلته الأولى، بوجود
فرسان ترافق الركب المغربي⁹².

وبالنسبة لركب الحج الرسمي المصري أو الشامي، فقد كان يضم هو الآخر قوة
عسكرية لها أهميتها. فحولها أخبرنا الهشتوكي في رحلته أن الركب الشامي "معه من رمات
المغرب نحو خمسمائة ومعه خيل كثير"⁹³. وهذا ما أكده لنا الناصري في رحلته
الحجية الكبرى، وهو على الراجح يقصد بهم جنودا من إيالات الجزائر وتونس وليبيا⁹⁴.
ونكتشف ذلك أيضا في وصف الصميلي للركب المصري عند دخوله بندر الينبوع في

فخامة وضخامة" دالة على علو القامة.. ونشر الرايات والأعلام ما لا يحيط بوصفه ألسنة الأقاليم، وقدم أمامه جملة من العسكر وافرة... وأظهروا من السلاح الفائق والملابس الفاخرة... وجعل الأمير حوله من الأبطال ما حرك تلك الجبال، ومن الغيطات والأبواق...⁹⁵. وأبرزت لنا الرحلة الحجية مظاهر أخرى لهذه الإمكانيات العسكرية وهي تعرض لتنافس الركبين المصري والشامي في إظهار القوة بـ"عرفات مكة المكرمة"، كما أخبرنا بذلك المكناسي في حجته عندما "تقدم وزير الشام بمحله وعسكره وطبوله وكذا باي مصر بمحمله وعسكره وطبولهم تنقر والمزامير، والعسكر يخرج المدافع، وكل واحد من الفريقين يجهد في التقدم على الآخر"⁹⁶.

ومن صور استعمال القوة العسكرية لركب الحج المشرفي، تعدد مواجهاته في أماكن ومناسبات مختلفة مع الأعراب في القرن 18م، كما أخبرنا بذلك المشتوكي وهو يتحدث عن أعراب الشام عندما "كسروهم (الركب الشامي) وهزمهم وقتل منهم قتلى كثيرين"⁹⁷. أو ما حصل في جبل "أحد" عند حجة أبي مدين الدرعي الثانية حين تعرضت الأعراب به للركب الشامي "فحاربهم وقتل عدة من أكابره و أسر عدة منهم"⁹⁸. وحدثنا بعدها الناصري في رحلته الأولى عن أمير الركب المصري- وهو يقترب من موضع "بندر المويلح" - الذي قطع رؤوس عددا من المحاربين له⁹⁹. ونقل لنا المؤلف كذلك أخبارا حول واقعة "واد العقيق" عندما تعرضت أعراب "حرب" بالحجاز للحجاج في مضيق بين جبلين، "فاجتمعت الركاب المغربية مع المصري بعد أن تولى أمير مصر جمعها جيرا عليها. فقدم الطرابلسي لقوته ومنعته وشدته على الأعراب، والسجلماسي والتونسي والجزائري، وأما الركب الفاسي فقد دخل وسط المصري. فرتبت الجيوش وأخرجت الرمات وانعزل الركبان من خيل وبغالة وأخذ الناس أهبتهم للقتال"¹⁰⁰.

كما أخبرنا الرحالة ذاته في رحلته الثانية عن أمير الركب المصري أيوب باي الغزي الذي قطع رؤوس جماعة وافرة من المحاربين في موضع "السقيفة" بعد بلدة الينبع في الذهاب¹⁰¹.

و كان ركب الحج يستبق أحيانا المواجهات التي قد تحصل مع الأعراب في طريق الحج، كما أخبرنا بذلك المكناسي - الذي كان يرافق الركب الشامي - مثلما حصل سنة 1787م بين موضع "الحسا" و"بركة عنتر" في اتجاه مكة على طريق الشام عندما "تقدم العسكر إلى هذا المكان خشية أن يتمكن به العرب فلا يترك الحجاج يسيرون حتى يرضونهم"¹⁰². وتقدم إلى مضيق بين موضع "معز" وموضع "الأخضر" في الطريق من دمشق إلى مكة - كما يقول المكناسي - قوم من العسكر خشية الاعتداء على الركب¹⁰³. وعند وصول هذا الأخير إلى قلعة "هدية" إلتقاه وزيرا معه جيش كثير وعدة دعما لأمير الركب عند العودة من الحجاز إلى الشام ليتقوى به على الأعراب¹⁰⁴.

و كان حكام مصر يداومون على دعم ومساندة ركبهم بالعدة والعتاد والمؤن في مواضع عديدة كموضع "الدار الحمراء"¹⁰⁵ وموضع "المغائر"¹⁰⁶.

وأخبرتنا الرحلة المغربية أيضا أن استعراض القوة العسكرية من قبل الركين المصري والشامي وتنافسهما في ذلك كان يخلق في كثير من الأحيان حزازات بينهما، كادت أن تؤدي في بعض منها إلى مواجهات، مثلما صرح بذلك الصميلي و الإسحاقى من بعده وهما بـ"عرفات"¹⁰⁷.

خلاصة:

لم يكن مقصد هذا البحث إزاحة ركب الحج عن هدفه الأصلي، ألا و هو تشكيل جمع بشري منظم ومتضامن يتجه في جو إيماني صوب أراضي الحرمين الشريفين لأداء ركن الحج و استغلال المناسبة لزيارة قبر النبي (ص) و زيارة مزارات و مشاهد أخرى. ولكن مصاحبتنا لعدد من الركاب الحجية ذهابا و جيئة في القرن 12/18م، هو الذي كشفت لنا وجود أدوار أخرى غير الأدوار التقليدية لركب الحج. فلا يستغرب إذن دوره السياسي، لأن انطلاقته حملت معها هذا الدور. فالسلطة السياسية المركزية هي من عينت أميره، و هي من أسندت إليه توصيل الصرة الثمينة للحرم الملكي و توصيل أعطيات الجهات محددة، و هي من أرسلت معه كتيبة نظامية من الجيش لحمايته، و هي من فرضت في

فترات محددة على ركاب البلاد التوحد قسرا في ركب واحد ينطلق بإشارة السلطان. و قد قدمنا بالدليل التاريخي تجليات هذا الدور مشرقا و مغربا. أما الدور القتالي للركب، فهو تحصيل أمر واقع مادام هذا الأخير يغادر موطنه إلى مواطن أخرى و بصحبته أموال طائلة تغري قطاع الطرق والقبائل التي تتخذ من سرقت الركاب الحجية أو غيرها و من خطف المسافرين تجارة لها.

هوامش البحث:

- ¹ - تعبيرين أوردهما الهشتوكي: أحمد بن محمد بن داود الجزولي التملي الهشتوكي، رحلة الهشتوكي، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمغرب رقم 147ق، ص 25
- ² - عبد الرحمن الغنامي المزامزي الشاوي، رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، مخطوط بالخزانة الحسينية بالمغرب تحت رقم 5656، ص 5
- ³ - عبد المجيد الزيادي المنالي، بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، مخطوط المكتبة الوطنية للمغرب رقم 398ك، ص 89.
- ⁴ - أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الكبرى، ج 1، الطبعة الحجرية، فاس، ص 147
- ⁵ - أبو القاسم الزباني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1991، ص 257.
- ⁶ - أبو مدين بن أحمد الروداني الدرعي، الرحلة الحجازية، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمغرب رقم 297 ق ضمن مجموع من 20 إلى 208، ص 197
- ⁷ - محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الكبرى، تقديم وتحقيق المهدي الغالي، أطروحة لنيل الدكتوراه (النسخة المرقونة)، كلية الآداب الرباط، 2011، ص 493
- ⁸ - «Les provinces arabes du XVIe-Raymond André- XVIIIe et Architecture des pays arabes à l'époque ottomane» in *Histoire de l'empire ottoman*, Fayard, 1989, pp370-371.

⁹ - محمد بوكبوط، "سفارة محمد بن عثمان المكناسي و مشاهداته في استانبول و الشام والحجاز 1786-1789"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، سلسلة رسائل وأطروحات، 2004، ص194

¹⁰ - محمد المنوني، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، 1953، ص41. الشرقي بن محمد الإسحاق، رحلة الإسحاق، مخطوط المكتبة الوطنية للمغرب، ميكروفيلم رقم 3724، ص29

¹¹ - الناصري، الرحلة الكبرى، ص 695

¹² - محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الصغرى، مخطوط مؤسسة علال الفاسي، رقم 457ع، ص71.

و أشار عباس الجراري أن نجل السلطان هو المولى أحمد وشقيقه هو المولى موسى: عباس الجراري، «مدخل لرحلة الحضيكي الحجازية»، ضمن مجلة المناهل، ع10، مقال (44-66)، ص51

¹³ - يقول الزياني أن الباشا "خلع...على أمير الحج خلعة وعلى أمراءه الذهبين معه": الزياني، الترجمانة الكبرى، صص209-210. وعند: محمد بن الطيب الشركي الصميلي، الرحلة الحجازية، نسخة مصورة عن مخطوطة خزانة جامعة لايسك بألمانيا تحت رقم746، صص 120 إلى 122.

¹⁴ - شروط الأولى عنده أن يكون مطاعا ذا رأي وشجاع وهيبة وهداية: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1989، ص139.

ويرى المنوني أن العادة في أمير الركب الفاسي أن يختار أميره من عليية الناس فضلا وأخلاقا وثروة وعراقية بيت: المنوني، من حديث الركب المغربي، ص30

¹⁵ - كان أمير الركب الفاسي في سنة 1113هـ هو الحاج جسوس، وهي أول إمارته (محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983،

- ص285). وأميره لسنة 1166هـ هو الحاج محمد الفلوس "لأن اعديل ضعف حالهم... فذهب أهل فاس فاستأذنه- السلطان- في شان الفلوس المذكور، فأذن لهم فيه (محمد بن أحمد الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط، 1986، ص156).
- 16- يأتي توثيقه في فقرة موابية.
- 17- الإسحاق، رحلة الإسحاق، ص148
- 18- نفسه، ص28
- 19- ابن ناصر الدرعي، الرحلة الكبرى، ج2، ص186
- 20- الإسحاق، رحلة الإسحاق، ص28
- 21- الروداني الدرعي، الرحلة الحجازية، ص76. محمد المنوني، من حديث الركب المغربي، م.س، ص30.
- 22- ابن ناصر الدرعي، الرحلة الكبرى، ج1، ص186
- 23- محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد العالي المدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، 2011، ص83
- 24- الناصري، الرحلة الكبرى، ص134
- 25- الإسحاق، رحلة الإسحاق، ص29
- 26- محمد جادور، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، سلسلة أبحاث، مطبعة منشورات عكاظ، 2011، ص274
- 27- بوكبوط، سفارة محمد بن عثمان المكناسي، ص188
- 28- الزباني، الترجمانة الكبرى، صص209-210. الصميلي، الرحلة الحجازية، صص 120 إلى 122
- 29- محمد بن عثمان المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبرالحبيب، دراسة وتحقيق محمد بوكبوط، دار السويدية للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص283.

- 30- أبوالقاسم الزباني، الترجمانة الكبرى..م.س، ص257
- 31- أطلق اللقب على أمير ركب الحج المصري: المكناسي، رحلة إحراز المعلى، ص265
- 32- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، صص209-210. الصميلي، الرحلة الحجازية، صص120 الى 122
- 33- الناصري، الرحلة الكبرى، ص376.
- 34- ناصر الأنصاري، المعجل في تاريخ مصر: النظم السياسية و الإدارية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1997، ص193
- 35- و يدعى هذا الأمير بـ"باي إبراهيم": الهشتوكي، رحلة الهشتوكي، صص245-258.
- 36- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، صص249-250
- 37- الناصري، الرحلة الكبرى، ص376.
- 38- الأنصاري، المعجل في تاريخ مصر، ص204
- 39- نفسه، ص200
- 40- الناصري، الرحلة الصغرى، ص104
- 41- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص237. الناصري، الرحلة الكبرى، ص237.
- 42- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص27
- 43- يراجع الفقرة الأولى: ركب الحج مجتمع بشري ضخم بكل تناقضاته.
- 44- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج7، إشراف محمد حجي و ابراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، 2001، ص76.
- 45-المحمل" قبة من خشب رائق الصنعة بخرط متقن وشباييك ملونة بأنواع الأصباغ وعليها كسوة من رفيع الديدياج المخوص بالذهب. ورقبة الحمل وسائر أعضائه محلاة بجواهر منظمة أبلغ نظم...ويتبعه جمل آخر مثل صفته، ثم الكسوة المشرفة ملفوفة قطعاً قطعاً": الزباني، الترجمانة الكبرى، صص204-205. وإشارات أخرى عند: الصميلي، الرحلة الحجازية، ص132
- 46- الروداني الدرعي، الرحلة الحجازية، ص93

- 47- الناصري، الرحلة الكبرى، ص 333
- 48- ملاحظاته أثناء تواجده بمصر عائداً من الحج: الزباني، الترجمانة الكبرى، ص 204
- 49- الزباني، الترجمانة الكبرى، صص 209-210. الصميلي، الرحلة الحجازية، صص من 120 إلى 122
- 50- الزباني، الترجمانة الكبرى، ص 174
- 51- كانت هذه الكسوة من الحرير الأسود وفيها بخط أبيض آيات من كتاب الله: الناصري، الرحلة الكبرى، ص 477. الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، صص 236-237
- 52- والكيس 500 قرش وثمان الحمل 7 أكياس، أي أن الجميع تصل تكلفته إلى 227 ألف كيس وهو ما يعادل 113500 قرش: ابن ناصر الدرعي، الرحلة الكبرى، ج 1، ص 129
- 53- الصميلي، الرحلة الحجازية، ص 139
- 54- نفسه، ص 124
- 55- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص 233
- 56- كانت أموال الركب الشامي و أموال الركب المصري بالقناطر المقنطرة كما قال الحضيكي: الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص 105
- 57- الناصري، الرحلة الكبرى، ص 375
- 58- الزباني المنالي، بلوغ المرام، ص 81
- 59- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص 47
- 60- نفسه، ص 59
- 61- الناصري، الرحلة الكبرى، ص 702
- 62- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص 56
- 63- نفسه، ص 83
- 64- نفسه، ص 84
- 65- نفسه، ص 104

- 66 - محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الإخبار، إشراف أحمد الزاوي الطرابلسي، المكتبة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص201
- 67 - الناصري، الرحلة الصغرى، ص71
- 68 - نفسه، ص151
- 69 - الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، صص148 و149
- 70 - نفسه، ص215
- 71 - الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص311
- 72 - هو محمد بن علي بن فضل الحسيني الطبري إمام المقام الإبراهيمي سنة 1143. ينظر. نفسه، صص313-314
- 73 - قصيدة لأديب تونسي من 60 بيتا، جاء فيها:
وأكرم الخلق أفعالا و أخصبهم عقلا و أكملهم فطنة وأدبا
ومنه:
- أم المغارب إذا رمت نيل العلا أما ترى كل نجم طالع غربا
ينظر: الناصري، الرحلة الصغرى، صص73 إلى 77
- 74 - جاء فيها:
- ملك الملوك الصالحين وحرزهم بيت القصيد الملتجى والمقصد الصلح
نفسه، صص31-32
- 75 - الناصري، الرحلة الصغرى، ص36
- 76 - نفسه، ص105
- 77 - نفسه، ص99
- 78 - الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص148
- 79 - نفسه، ص147
- 80 - المكناسي، رحلة إحرار المعلى، ص148. الزباني، الترجمانة الكبرى، ص177
- 81 - الناصري، الرحلة الكبرى، ص416

82- المكناسي، رحلة إحرار المعلى، ص 247.

و عند رابوند أن مسؤولية قيادة الركب السوري كانت تعود لحاكم دمشق من عام 1708 وحتى 1918:

Raymond (A), Les provinces arabes, op.Cit.p371

83- الناصري، الرحلة الصغرى، ص 109

84- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، صص 249-250

85- بوكبوط، سفارة محمد بن عثمان المكناسي، ص 199

86- الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص 105. الروداني الدرعي، الرحلة الحجازية، صص 56-75-83.

87- الهشتوكي، رحلة الهشتوكي، ص 226

88- الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص 84

89- نفسه، صص 205-206

90- الناصري، الرحلة الكبرى، ص 689

91- نفسه، ص 194

92- الناصري، الرحلة الصغرى، ص 60.

نعرف كذلك وجود هذا السلاح الناري من خلال إشارات الهلالي وهو يتحدث عن سرقة بنديقية من الركب في أحد المواضع: أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، الرحلة الحجازية، خزنة سيدي

عبد الله البلباني، كوسام، الجزائر، ص 27

93- الهشتوكي، رحلة الهشتوكي، ص 258

94- الناصري، الرحلة الكبرى، ص 376

95- الصميلي، الرحلة الحجازية، ص 132

96- المكناسي، رحلة إحرار المعلى، ص 265

97- الهشتوكي، رحلة الهشتوكي، ص 258

- ⁹⁸ - كلام الدرعي وهو بموضع "البيع" في حجته الثانية: الروداني الدرعي، الرحلة الحجازية، ص202
- ⁹⁹ - الناصري، الرحلة الكبرى، ص 492
- ¹⁰⁰ - نفسه، ص463
- ¹⁰¹ - الناصري، الرحلة الصغرى، ص104
- ¹⁰² - المكتاسي، رحلة إحرارز المعلى، ص253
- ¹⁰³ - نفسه، ص253
- ¹⁰⁴ - نفسه، ص283
- ¹⁰⁵ - الناصري، الرحلة الصغرى، ص110
- ¹⁰⁶ - الناصري، الرحلة الكبرى، ص492
- ¹⁰⁷ - محمد بن الصميلي، الرحلة الحجازية، ص157. الإسحاقى، رحلة الإسحاقى، ص236.